Sharwes Scientific Journal (SSJ)
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثاني للواسات الاقتصادية والسياسية (2nd ISCEPS-2025)
Special Issue For 2nd ISCEPS-2025, 2026, pp 0732-0748
ISSN (Print): 3079-6040 • ISSN (Online): 3135-4343

Migration across the Sahara in the anthropological perspective: An approach between theoretical studies and field observation.

Mohamed Fadhel LAFI

Centre de Recherches et des Etudes pour le Dialogue des Civilisations et des Religions Comparées à Sousse, Tunisia.

*Corresponding author email: Mohamed LAFI | lafimohamedfadhel@gmail.com

Received: 30-09-2025 | Accepted: 27-04-2026 | Available online: 11-05-2026 | DOI:10.5281/zenodo.20098994

ABSTRACT

The Migration across the Sahara represents a complex human phenomenon that reveals cross-border social and cultural interactions. The anthropological perspective, through the integration of theoretical analysis and field observation, offers a more profound approach to understanding the dynamics of this phenomenon. From this premise, the study's central problem arises from the following primary question: How can the anthropological approach interpret the phenomenon of trans-Saharan migration in light of the intersection between theoretical data and field observation?. The research aims to explore inter-regional migration within Sub-Saharan Africa and its flows toward the North from an anthropological standpoint, elucidating its psychological and social impacts. It further seeks to clarify its role in perceived threats to national identities and the destabilization of demographic structures in transit and destination countries, while understanding these apprehensions through personal field experience. Methodologically, the study employed a case study approach centered on trans-Saharan migration, utilizing: the descriptive method to outline the phenomenon and conceptualize it for the reader; the analytical method regarding events, ideas, and texts to comprehend the intellectual and social dimensions of the phenomenon; and the critical method concerning perceptions, attitudes, practices, and prejudices in the evaluation process. The research reached several key findings, most notably: migration is a natural human movement that, in the African context, raises numerous concerns amidst civil wars and projects of displacement or demographic replacement, as exemplified by the Sudanese case. Furthermore, subjective experience and field research contribute to the development of the "scholarly self" and provide a deeper understanding of human nature and legitimate aspirations. Finally, the research recommends the localization of anthropological studies related to migration—particularly in Sub-Saharan Africa—and the reconstruction of objective analytical approaches.

Keywords: Migration, smuggling, borders, identity, anthropology.

الهجرة عبر الصحراء في المنظور الأنتربولوجي: مقاربة بين الدراسات النظرية والمعاينة الميدانية

محمّد الفاضل اللاّفي

مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة، سوسة، تونس.

*المؤلف المراسل: محمّد اللاّفي | lafimohamedfadhel@gmail.com

استقبلت: 30-09-2025م | قبلت: 27-04-2026م | متوفرة على الانترنت | 11-05-2026م | DOI:10.5281/zenodo.20098994

ملخـــــص البحـــــث

تمثل الهجرة عبر الصحراء ظاهرة إنسانية مركبة تكشف عن تفاعلات اجتماعية وثقافية عابرة للحدود. ويتيح المنظور الأنتربولوجي، من خلال الدمج بين التحليل النظري والمعاينة الميدانية مقاربة أكثر عمقا لفهم ديناميات هذه الظاهرة،

"Articles published in *Sharwes Sci J* are licensed under a Creative Commons Attribution-Non-Commercial 4.0 International License."

ومن هنا تبرز إشكالية الدراسة من التساؤل الرئيس المتمثل في: كيف يمكن للمقاربة الأنثروبولوجية أن تفسر ظاهرة الهجرة عبر الصحراء في ضوء التداخل بين المعطيات النظرية والمعاينة الميدانية؟. يهدف البحث إلى التعرف على الهجرة البينية في أفريقيا جنوب الصحراء ومنها نحو شمالها أنثروبولوجيا، والإبانة عن مؤثّراتها النفسية والاجتماعية، توضيح دورها في تهديد الهويّات الوطنية، وزعزعة البنية الديمغرافية لبلدان المعبر والمقصد، مع فهم تلك التخوّفات من خلال التجربة الشخصية الميدانية، تمّ توظيف منهج دراسة الحالة المتمثلة في الهجرة العابرة للصحراء، المنهج الوصفي، لوصف الظاهرة وتقريب تصوّرها من القارئ، والمنهج التحليلي لما يتعلّق بالأحداث والأفكار والنصوص، لفهم الظاهرة من الناحيتين الفكرية والاجتماعية، ثمّ المنهج النقدي، في ما يتعلّق بالتصوّرات والمواقف والممارسات، والأحكام المسبقة وعند محاولة تقويم الظاهرة، وتوصل البحث إلى أهم النتائج المتمثلة في: الهجرة حركة إنسانية طبيعية، تطرح في الحالة الإفريقية عديد التخوّفات في ظروف الحروب الأهلية ومشاريع الاستبدال والتهجير، مثل الحالة السودانية، وتساعد التجربة الذّاتية والبحوث الميدانية في تطوير الذّات العالِمة وفهم طبائع البشر وتطلّعاتهم المشروعة، يوصي البحث إلى توطين الدراسات الأنثروبولوجية المتعلّقة بالهجرة خاصّة جنوب الصحراء وإعادة بناء مقاربات موضوعية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، التهريب، الحدود، الهوية، الأنثروبولوجيا.

1. مقدمة

تتجاوز هذه الدراسة المقاربات التقليدية التي تحصر ظاهرة الهجرة عابرة الصحراء في أطر "الأزمة" المجرّدة أو "التهديد" الأمني، لتطرح قراءة أنثروبولوجية مغايرة تعتمد على مستويين متكاملين؛ الأوّل: رصد التحوّلات الاجتماعية والثقافية للهجرة وإشكالاتها، والثّاني: تحليل التجربة الميدانية والواقعية كأداة لفهم ديناميكيات العبور من الدّاخل. وتسعى الدراسة، في هذا السياق، إلى تفكيك الخطاب القائم على التخوّف والتوتر، عبر مساءلة البنى المستفيدة من استمرار الوضع الراهن، ومحاولة استشراف إمكانات التحوّل بالظاهرة نحو فضاءات أرحب للتعارف والتنافع البيني بين شعوب القارة الإفريقية، بُغية التعاطي مع إشكالية الهجرة بعقلانية وتدبّر.

2. مشكلة البحث:

تعالج الورقة العلمية موضوع الهجرة من ناحيتين؛ الأولى: البحث الأنثروبولوجي المجرّد، بدراسة الهجرة في ذاتها ومؤثّراتها وما يمكن أن تسبّبه من تحوّلات اجتماعية ومهدّدات للهويات الوطنية، والثّانية: تقديم أنموذج للتجربة الذّاتية والواقعية لرحلة الهجرة وفهمها من الدّاخل.

3. أهمية البحث:

يطرح موضوع الهجرة غير النظامية نفسه بقوّة على جميع الدوائر الحكومية والمنظّمات غير الحكومية، كما تَفرض قضاياه نفسها على جميع الأطراف بالسوية؛ العلماء والباحثين والسياسيين وعلماء الاجتماع

وعلماء الدّين والأنثروبولوجيين...، والسّبب أنّه يمسّ مباشرة حياة الأفراد والمجتمعات، كما يهدّد نسيجها وهويّاتها. لذلك تُفرض الهجرة؛ موضوعا وإشكالا، على المهتمين بالشأن العام الوطني، خاصّة المجالس النيابية، التي تسعى للتشريع والتقنين والبحث في الحلول الممكنة، وإن كانت تتعامل مع الموضوع بجفاء كبير، وهذا مكمن السؤال في كيفية التعاطي مع الموضوع بعقلانية وتدبّر، لا بعاطفية وعدوانية وتوتّر، وهو ما دفعنا للاعتناء بهذه الإشكالية والتفاعل مع سؤالها.

4. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة الهجرة البينية في أفريقيا جنوب الصحراء ومنها نحو شمالها أنثروبولوجيا، والإبانة عن مؤثّراتها النفسية والاجتماعية ودورها في تهديد الهويّات الوطنية، وزعزعة البنية الديمغرافية لبلدان المعبر والمقصد، مع فهم تلك التخوّفات من خلال التجربة الشخصية الميدانية.

5. مناهج البحث:

تمّ توظيف ثلاثة مناهج رئيسية في دراسة الحالة؛ المنهج الوصفي، لوصف الظاهرة وتقريب تصوّرها من القارئ، ثمّ المنهج التحليلي لما يتعلّق بالأحداث والأفكار والنصوص، لفهم الظاهرة من الناحيتين الفكرية والاجتماعية، ثمّ المنهج النقدي، في ما يتعلّق بالتصوّرات والمواقف والممارسات، والأحكام المسبقة وعند محاولة تقويم الظاهرة.

- **مصطلحات البحث:**

الهجرة، التهريب، الحدود، الهوية، الأنثروبولوجيا، التنمية...

6. تقسيم البحث:

ينقسم البحث إلى العناصر التالية:

- المبحث الأوّل: الهجرة من منظور أنثروبولوجي
- المبحث الثّاني: الهجرة: من الهروب إلى الفاعلية والمشاركة . تجربة عملية .
- خاتمة
- النتائج
- التوصيات

7. المبحث الأوّل – الهجرة من منظور أنثروبولوجي

7.1. تمهيد

الهجرة انتقال الناس من منطقة إلى أخرى. ويهتم علم الأنثروبولوجيا بما أنّه يعرّف بعلم الإنسان بدراسة هذه الظاهرة من حيث أبعادها الثقافية والاجتماعية. ويمكن تقسيم الدراسات الأنثروبولوجية للهجرة إلى ثلاث فئات. أولاً، هناك دراسات تُركز على جانب الهجرة نفسه، وتُركز على كيفية إدراك المجتمعات التي ينضم إليها المهاجرون، وكيفية استجابتهم لهذه التصورات. ثانياً، هناك اهتمام مُستمر من قِبَل علماء الأنثروبولوجيا بعملية الهجرة نفسها. ثالثاً، بدأ علماء الأنثروبولوجيا أيضاً بدراسة سياقات الهجرات، بما في ذلك ردود فعل الجهات المحلية الفاعلة على الهجرة، والقضايا القانونية، والأمن الوجودي، وأهمية الحدود، أو علاقات المهاجرين بعيدة المدى.

لجأ علماء الأنثروبولوجيا المهتمون بالهجرة، كثيراً إلى الدراسات العابرة للحدود الوطنية، بالإضافة إلى دراسات ما بعد الاستعمار والدراسات الثقافية، وهي مجالات طوّرت منظومةً تجريبية ومفاهيمية غنية لوصف الهجرة. كما يدرسون الهجرة من خلال نهج شمولي، يربط بين جوانب مختلفة من عمليات الهجرة المعقدة. ويستفيد معظم العمل الأنثروبولوجي المتعلق بها بشكل كبير من التعاون التخصصي مع المجالات المجاورة مثل الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الاستعمار والاقتصاد والتاريخ والعلوم السياسية والعلاقات الدولية والدراسات القانونية وعلم الاجتماع والجغرافيا [1].

تاريخيًا، لم تكن دراسة الهجرات البشرية محورًا للأنثروبولوجيا إلى أواخر خمسينيات القرن العشرين. حتى ذلك الحين، ركزت بشكل كبير على دراسة المناطق الصغرى، مثل القرى والمجتمعات التي تتواصل وجهاً لوجه في السياقات غير الغربية. طوال سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، أسهمت الأنثروبولوجيا في دراسة الهجرة من خلال تسليط الضوء على آثار تحركات الإنسان من المناطق الريفية "غير المتقدمة" في العالم غير الغربي إلى المراكز الحضرية والصناعية في الغرب. حيث استُخدمت نظريات مهمة في العلوم الاجتماعية، مثل نظرية النظم العالمية، لرسم خرائط للعمليات واسعة النطاق التي حفزت أنماط الهجرة مثل تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي والهروب من الكوارث الطبيعية والبشرية المصطنعة.

ركزت هذه المناهج على كيفية تأثير التيارات الاقتصادية والسياسية الخفية على الأفراد أو المجموعات الصغيرة أو الثقافات والحضارات بأكملها أثناء اجتياحها في موجات الهجرة القسرية. وفي التسعينيات، أصبحت السياقات الثقافية والاجتماعية للهجرة ذات أولوية متزايدة على السياقات السياسية والاقتصادية. وقد نتج هذا التغيير عن تيارين خفيين أكبر في البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية ككل.

- أولاً، أصبح البعد الثقافي للمجتمعات الصناعية الحديثة المتأخرة موضع تركيز أكبر بكثير في العلوم الاجتماعية في أعقاب أعمال أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci (1891 - 1937)، ولاحقًا لاكلو Ernesto Laclau (1935 - 2014) اللذين أكدا على أهمية الجوانب الاجتماعية والثقافية في الاقتصاد السياسي.
- ثانيًا، أسهم صعود ما بعد الاستعمار في فهمٍ أكثر تعقيدًا لعمليات الهجرة وتأثيرها على الناس بما يتجاوز البعد الاقتصادي.

بدأ علماء الأنثروبولوجيا والنقاد الثقافيون في دراسة الهجرة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من التدفقات العالمية، والعلاقات مع الوطن السابق، وسياقات الوطن الجديد. وقد ألهم هذا التنوع مجموعة متنوعة من الاهتمامات في دراسة العلاقة بين الثقافة والهجرات البشرية مثل الهويات العرقية مقابل الهويات المدنية، ومفاوضات الانتماء، والعلاقات بين المهاجرين لمسافات طويلة، وقضايا النوع الاجتماعي، والشبكات الاجتماعية والثقافية للمهاجرين، فضلاً عن العلاقات بين المهاجرين المحليين.

7.2. طبيعة الدراسات وخلفياتها العلمية

هناك ثلاث نظرات عامة مهمة تربط العمل الأنثروبولوجي بالهجرة، وجميعها متعددة التخصصات. تُقدم كارولين بريتل Caroline Brettell (1950) ربما النظرة العامة الأكثر شمولاً للأدبيات الأنثروبولوجية حول الهجرة. يتناول الكتاب قضايا مثل تجارب الهجرة، والشبكات الاجتماعية للمهاجرين، والجندر والهجرة، والأعمال الإثنوغرافية متعددة المواقع حول الهجرة، والعولمة، والهويات العرقية والمدنية، والهجرة والمواطنة، والتنوع الفائق، ومعارف الإدماج والإقصاء، بالإضافة إلى التعددية الثقافية [2].

يناقش ستيفان كاسلز وآخرون في كتاب نظريات الهجرة Theories of Migration مجموعة واسعة من الأعمال، مرتبة حسب مواضيع محددة مع تعليقات مستفيضة؛ ويستخدم هذا العمل على نطاق واسع من قبل طلاب الهجرة [3].

تركز بريتل Caroline Brettell وجايمس هوليفيلد James F. Hollifield في كتاب نظرية الهجرية Migration Theory Talking across Disciplines بشكل أكثر تحديدًا على دور الثقافة في مناقشة الأعمال المتاحة في أبحاث الهجرة؛ ومع ذلك، يهدف الكتاب أيضًا إلى دمج الروايات الأنثروبولوجية في العلوم الاجتماعية. ويواصل المحرران تقديم تغطية مقارنة وكونية النطاق، مع تعزيز أوجه التشابه والاختلاف بين

المجالات الأكاديمية المختلفة. وقد نُقّحت جميع الفصول لتسليط الضوء على أحدث القضايا في مجال دراسات الهجرة اليوم [4].

يُعدّ كتاب Michael Kearney حول الدارسات الأنثروبولوجية للهجرة والتطوّر From the invisible hand to visible feet من المراجع القديمة نسبيا في الموضوع، مفيد لفهم تطور الدراسات الأنثروبولوجية حول الهجرة حتى منتصف ثمانينيات القرن العشرين [5] ، في حين يُقدّم كتاب Caroline Brettell et Reed-Danahay حول المواطنة والمشاركة السياسية والانتماء: المهاجرون في أوروبا والولايات المتحدة Citizenship, Political Engagement, and Belonging: Immigrants in Europe and United States، مجموعة متنوعة من الدراسات الإثنوغرافية حول الهجرة في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية [6]. وركّزت بعض الأعمال الببليوغرافية المستوحاة من الأنثروبولوجيا على حالات هجرة محددة، مثل دراسة جاني وايت Jenny B. White حول هجرة الأتراك إلى ألمانيا Turks in Germany ; Overview of the literature [7]. وتُظهر دراسة نانسي فونر Nancy Foner وهي دراسة كمية–كيفية، من منظور الهجرة؛ البعد التاريخي للأشخاص القادمين إلى مدينة نيويورك [8].

في سياق هذا العمل، تُقدّم N. Foner أيضًا نظرة عامة ومناقشة شاملة للأدبيات المتعلقة بالهجرة من منظور العديد من مجموعات المهاجرين المختلفة عند وصولها إلى هذا الموقع. وتُعرّف القراء بشكل عام على الدراسات الأنثروبولوجية للهجرة؛ المعاصرة والتاريخية على حد سواء. ويُقدّم كتاب Mark Rosenblum and Daniel Tichenor نظرة أعم للهجرة الدولية، بما في ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، وجهات النظر الأنثروبولوجية [9]. ويُعدّ كتاب The Oxford Handbook of the Politics of International Migration مصدر معلومات مهمة عن الهجرة، حيث يوفر عدة فئات فرعية تُقدّم معلومات أولية حول مجموعة متنوعة من المواضيع والمناطق. ويشمل قسمًا لكل دولة، مع تركيز خاص على الهجرة إلى الولايات المتحدة، وقسمًا يحتوي على مقالات عامة حول جوانب عديدة في الهجرة [9].

7.3. مناهج علماء الأنثروبولوجيا في دراسة الهجرة

يستخدم علماء الأنثروبولوجيا مجموعةً متنوعةً من المناهج في دراسة الهجرة. إذ تتيح المناهج النوعية، كالمقابلات المعمقة والملاحظة والدراسات الإثنوغرافية للباحثين جمع بياناتٍ غنيةٍ ومفصلةٍ حول التجارب المعيشية للمهاجرين. وتعزز هذه التقنيات فهمًا شاملًا لعملية الهجرة، مع مراعاة الأبعاد الثقافية والاجتماعية. ومن ناحية أخرى، تُستخدم أيضًا مناهج كمية؛ كالمسوح والاستبيانات، للحصول على بيانات

إحصائية حول اتجاهات الهجرة. تُمكّن هذه الأدوات من قياس مدى تحركات السكان وتحليل العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في هذه الهجرات. ومن خلال الجمع بين المنهجين الكيفي والكمي، يُمكن لعلماء الأنثروبولوجيا الحصول على نظرة عامة أشمل.

7.4. دراسات الحالة

تُعد دراسات الحالة ركنًا أساسيًا في أنثروبولوجيا الهجرة. على سبيل المثال، تُقدم دراسة الهجرة من الريف إلى المدن في أفريقيا رؤىً مهمّة حول الدوافع الاقتصادية والمآلات الاجتماعية لهذه التحركات. ويدرس الباحثون كيفية اندماج المهاجرين في الشبكات القائمة وإنشاء أنظمة دعم جديدة في بيئتهم المضيفة. وبالمثل، تُظهر دراسات الهجرة "عابرة الوطنية" حيث يحافظ الأفراد على روابط وثيقة مع وطنهم أثناء إقامتهم في مكان آخر، كيف يؤثّر التنقّل على الهويات الثقافية والهياكل الأسرية. تُمكّن هذه الحالات علماء الأنثروبولوجيا من فهم ديناميكيات الشتات والممارسات الثقافية العابرة للحدود بشكل أفضل.

7.5. تحليل النتائج

يكشف تحليل نتائج دراسات الهجرة غالبًا عن أنماط مثيرة للاهتمام وتناقضات واضحة. على سبيل المثال، بينما يحقّق بعض المهاجرين نجاحًا اقتصاديًا واندماجًا اجتماعيًا سلسًا، يواجه آخرون عقبات كبيرة، مثل التمييز والإقصاء الاجتماعي. لذا يسعى علماء الأنثروبولوجيا إلى فهم هذه التفاوتات من خلال دراسة السياقات الاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمعات المضيفة. كما تُسهم نتائج البحوث الأنثروبولوجية في صياغة سياسات الهجرة، حيث تُوفر أدلةً تجريبية يمكن لصانعي السياسات استخدامها لتطوير سياسات هجرة أكثر عدلًا وفعالية. لذا، يُعدّ عمل علماء الأنثروبولوجيا بالغ الأهمية ليس فقط للفهم الأكاديمي للهجرة، بل أيضًا لتأثيرها العملي على أرض الواقع [10].

7.6. آفاق مستقبلية:

ستظل الهجرة تلعب دورًا محوريًا في تشكيل المجتمعات المعاصرة. ومع ظهور تحديات جديدة؛ كالهجرة المرتبطة بالمناخ والأزمات الإنسانية، سيحتاج علماء الأنثروبولوجيا إلى تكييف مناهجهم للحفاظ على أهميتهم في الفهم والتحليل. ويمكن أن يفتح دمج التقنيات الرقمية والبيانات الضخمة آفاقًا بحثية جديدة. كما تتزايد أهمية منهج تعدّد التخصّصات. إذ العمل مع علماء الأديان والاجتماع والاقتصاديين وأخصائي السياسات العامة والتقنيين يتيح نظرة عامة أكثر دقة للهجرة. كما هذا النهج الشامل سيسهم في فهم وإدارة أفضل للتنقل البشري مستقبلا [11].

7.8. دوافع الهجرة؛ محاولة فهم أنثروبولوجي

تسهم تلك المناهج في فهم دوافع الهجرة في جميع أشكالها ومساراتها، رغم تنوّع المجتمعات وتعدّد هويّاتها، إذ تعتبر "الحاجة" مجرّدةً المحرّك الأساس للتنقّل ومغادرة المكان نحو مكان آخر. والذي يهمّ الأنثروبولوجي حقيقة هو آثار تلك الرّحلة وتغيير المكان، خاصّة عابرة الحدود واختلاف الثقافة في بلد الاحتضان أو الاستقبال، وحتى في بلاد العبور والاستقرار المرحلي قبل اتّخاذ قرار حاسم في اختيار بلد الاستقرار. وهو ما سيحدّد إلى حدّ ما طبيعة هذا البحث، وهو يدرس إشكالية الهجرة في الواقع الإفريقي المعقّد والمركّب، وما يحفّ بها من مخاطر التجارة بالبشر والاستغلال الجنسي وتعرّض الأطفال والقصّر للمخاطر [12]. وتتنوع أسباب الهجرة والفرار، كما تخضع للتغيرات التاريخية. إذ أدّى تغيّر المناخ وأشكال العنف المختلفة والفقر، ولا يزال، إلى خلق حراك وممارسات اجتماعية وثقافية واقتصادية عبر حدود الدول القومية. ويتناقض هذا الحراك مع السياسات التقييدية للدول القومية والكيانات فوق الوطنية. كما لا تركز أنثروبولوجيا الهجرة الحالية حصرًا على هجرات الأفراد عبر الحدود.

يُعنى هذا المجال بظهور الشبكات الاجتماعية العابرة للحدود الوطنية وتحولاتها، مع تدفقات رأس المال (التحويلات المالية) والمعلومات والتقنيات والأفكار، والممارسات (التغيّرات الاجتماعية)، سواءً عبر المحلية أو الوطنية، وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في بلد المنشأ والمقصد على حد سواء. للهجرة أيضًا تأثير متعدد الجوانب على تنمية المساحات الحضرية، وهو ما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعمليات التحول الاقتصادي من خلال الممارسات العابرة للحدود الوطنية لريادة الأعمال "الإثنية" أو أنماط تنقل محددة للعمال ذوي المهارات العالية.

تُعدّ الهجرة عابرة الحدود الوطنية، وكذلك داخل المنطقة الإقليمية، موضوعًا بحثيًا محوريًا في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. وفي إطار الحوار متعدد التخصصات، تُنظّم دورات ومؤتمرات وورش عمل في مؤسسات عديدة، مثل معهد دراسات أمريكا اللاتينية في سياق أبحاث الهجرة؛ كما أن أنثروبولوجيا الهجرة موطّنة في المعهد من خلال برامج الدكتوراه والمشاريع الممولة خارجيًا. وتُستخدم مناهج البحث الكيفي في الإثنوغرافيا لدراسة الأشكال المعقدة للانتماء التي تُنتجها عمليات الهجرة أو تُغيّرها. وتركز التعددية الثقافية، وهي عملية انتقال الأسرة والقرابة والزواج والصداقة عبر الحدود الوطنية، على العلاقات والتفاعلات الشخصية، وبالتالي تستفيد بشكل خاص من التركيز على الفاعلين في مناهج البحث الأنثروبولوجي.

تُعدّ الهجرات الدولية في الصحراء الكبرى من أهمّ القضايا في العلاقات بين أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وشمال أفريقيا وأوروبا. وهي ليست ظاهرةً جديدة. فمنذ خمسينيات القرن العشرين، سافر المهاجرون من منطقة الساحل إلى المغرب العربي بحثًا عن العمل، حيث كان وفيرًا نظرًا لاستثمار حكومات شمال أفريقيا في أراضيها الصحراوية. ومنذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أدّت التغطية الإعلامية للهجرات عبر الصحراء الكبرى إلى أوروبا . والتي لا تُشكّل سوى جزءٍ ضئيلٍ من إجمالي الهجرات الصحراوية . إلى اضطراب أنماط التنقل القائمة منذ فترة طويلة. والآن، يُشتبه في أن كل مهاجر من جنوب الصحراء في الصحراء الكبرى يُمثّل طريقًا إلى أوروبا، ويُعاد تعريف شمال أفريقيا ككل، من خلال فرض سياسات الهجرة الأوروبية، باعتبارها أقصى الحدود الجنوبية للاتحاد الأوروبي [13].

منذ أوائل القرن الحادي والعشرين، لفتت تدفقات الهجرة العابرة للصحراء الوسطى انتباه وسائل الإعلام والسلطات العامة؛ في أفريقيا وأوروبا على حد سواء. ورغم العوائق التي تعرقل الحركة في هذه المنطقة، والتي تعكس اختلالات الدولة النيجرية وتشديد سياسات الهجرة في دول المغرب العربي، يسافر المهاجرون من جميع أنحاء القارة عبر النيجر إلى شمال أفريقيا، . حيث يعود معظمهم بعد بضعة أشهر أو سنوات ... وتُشكل هذه الهجرات بين جانبي الصحراء العامل الرئيسي في ديناميكية منطقة أغاديز Agadez شمال النيجر وتحولها، وتميل على نطاق أوسع إلى إعادة تعريف جغرافية صحراوية جديدة من خلال الجمع بين الأماكن والجهات الفاعلة بطرق غير مسبوقة.

لكن من المفارقات العجيبة أنّ هذه الأمواج العاتية لهجرة الأفارقة بلدانهم عقبها استبدال كبير للنسيج المهاجر، حيث تظهر أنماط هجرة جديدة في المنطقة، مع الموجة الجديدة من الهجرة الصينية، سواء في المغرب العربي أو في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. هذه الهجرة، التي اتخذت بُعدًا أشبه بالشتات في جميع أنحاء العالم على مدى السنوات العشرين الماضية (حوالي 50 مليونًا وفقًا لتقديرات الأمم المتحدة)، بدأت تستقر في أفريقيا في قطاعي الهندسة واستغلال المواد الخام؛ النفط والموارد المعدنية والأخشاب، وبناء الطرق السريعة والجسور، والإنشاء، وصيد الأسماك الصناعي والنقل، مع إدراج العمالة الصينية الماهرة وغير الماهرة في بنود عقود الاستغلال المبرمة مع البلدان المعنية: الجزائر والسنغال ودول ساحلية أخرى على المحيط الأطلسي غنية بمصايد الأسماك والمعادن الجوفية [14].

ينضم أولئك الذين يعتبرون شمال إفريقيا وجهتهم الرئيسية أو أولئك الذين يفشلون في دخول أوروبا إلى مجتمعات مهاجرة متنامية. ووفقًا لتقديرات مختلفة، يعيش حاليًا ما لا يقل عن 100000 مهاجر من جنوب الصحراء الكبرى في موريتانيا والجزائر، ويعيش ما بين مليون ومليون ونصف المليون في ليبيا، ويعيش ما

بين مليونين و4 ملايين، معظمهم سودانيون، في مصر، كما أنّ اليمن على فقرها ومعاناتها من الحروب الداخلية فإنّها تستقبل عددا لا بأس به من اللاّجئين الفارين من جحيم الحروب والمجاعات في أفريقيا[15]. أما تونس والمغرب فتُعدان موطنًا لمجتمعات مهاجرة من جنوب الصحراء الكبرى أصغر حجمًا ولكنها متنامية[16].

7.9. عوامل الهجرة بين بلدان الجنوب

يسهم عدد متزايد من عوامل المغادرة في تحويل معظم دول جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى مناطق عبور:

- إغلاق دول البحر الأبيض المتوسط حدودها الجنوبية تحت ضغط سياسات الاتحاد الأوروبي المتعلقة بإغلاق الحدود (تشديد الرقابة على الحدود: آثار اتفاقية شنغن وفرونتكس Schengen et Frontex)...
- الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والصحية في العديد من دول جنوب الصحراء الكبرى، والتي تُولِّد أنماطًا جديدة من المهاجرين (العاملين في مجال الصحة، والقاصرين غير المصحوبين بذويهم، والنساء العازبات، والخريجين). وتُسجِّل منطقة جنوب الصحراء الكبرى أدنى مؤشّرات التنمية البشرية في العالم، وفقًا للمعايير التي يستخدمها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) [17].
- تُسبب الأزمات السياسية والحروب الأهلية، بالإضافة إلى التصحر في منطقة الساحل، تدفقات هجرة قسرية.
- آثار الأخبار التلفزيونية والإذاعية والهواتف المحمولة والإنترنت والتحويلات المالية، التي تكشف أو تُوحي بعالمٍ يُتيح فيه الوصول إلى مجتمع الاستهلاك وتسييل الاقتصاد آفاقًا جديدة [18].
- والأهم من ذلك كله، غياب الأمل وانعدام الثقة في بلدان المنشأ، التي تبدو جامدة وفاسدة وعاجزة عن توفير حياة جديدة لشباب مُتعلم ومُتحضر وبطالة متزايدة [17].

ومن المفارقات، أنه في حين تناولت العديد من الدراسات الهجرة والذاكرة كعمليتين إنسانيتين واجتماعيتين، بالإضافة إلى كونها موضوعات بحثية، إلا أن قلة منها وضعت ارتباطهما في صميم أبحاثها [19].

غير أنّ هذه الهجرة؛ المنطلقة من إفريقيا جنوب الصحراء، ليست التحدّي الوحيد الذي تواجهه أوروبا عموما، والغربية خاصّة، بل تصارع أمواجا عاتية من هجرات الغجر (Tzigane, Romani, Rom, Sinti, Gitans) غير الخاضعين لأي تشريعات أو قوانين، ولهذا يسمون "المسافرون Gens du voyage"، وما لهم

من نُظم اقتصادية وتجارية وخاصة اجتماعية وسلوكيات في الإنجاب والتكاثر والممارسات الغذائية وتقاليد في السّكن والترحال [20].

8. المبحث الثاني – الهجرة: من الهروب إلى الفاعلية والمشاركة . تجربة عملية .

8.1. تمهيد:

نسج الطيّب صالح من الخيال أردية كثيفة عن الهجرة والاغتراب، فلو لم يكن يكتب قصّة حياته أو تجربة حياة، لخُيِّل إلينا أنّه يدوّن الأساطير. كانت رحلته نحو الشمال بوّابة نحو أُفق بعيد أعطى حياته معنى جديدا وهو يشقّ طريقه منذ سنوات الثانوية نحو القاهرة، حيث يقول على لسان أمّه وهي تودّعه: "لو أنّ أباك عاش، لما اختار لك غير ما اخترته لنفسك، افعل ما تشاء، سافر، أو ابق، أنت وشأنك، إنّها حياتك، وأنت حرّ فيها. في هذه الصرّة ما تستعين به"، كان ذلك وداعنا لا دموع ولا قُبل ولا ضوضاء. مخلوقان سارا شطرا من الطريق معا، ثمّ سلك كل منهما سبيله" [21، ص27]، "جمعت متاعي في حقيبة صغيرة، وركبت القطار" [21 ص27] . الذي لم يغادر الصحراء موضوع بحثنا "وضرب القطار في الصحراء" [21، ص28] . كانت بداية طريقه نحو تغيّر حياته وبداية البناء ونحت الذّات المجرّبة من العدم. ويعبّر إدوارد سعيد ذلك بقوله: "تنتقل الأفكار والنظريات على غرار الناس ومدارس النقد من شخص إلى شخص، ومن موقف إلى موقف، ومن حقبة إلى أخرى. وعادة ما تتغذى الحياة الثقافية والفكرية على يد دورة الأفكار هذه، وتستمد منها أسباب الحياة والبقاء" [22].

8.2. الهجرة بداية تنظيم الأفكار واتّضاح رسالة الإنسان

تعتبر الهجرة أو الترحال من الشّام إلى جبال فاران أوّل تحوّل قسري ظاهري لهاجر وابنها إسماعيل، حيث انتقل بهما إبراهيم الخليل عليهم السّلام عندما اشتدّت غيرة سارة منها وقد رزقت ابنا، بُنِيَ الحدث على ظاهر القصّة والتعليل، غير أنّ حكمة الهجرة لم تُعلم إلاّ بعد نزول وادي مكّة والاستقرار بمكان قَفْرٍ ليس فيه أسباب الحياة المادية والرّفاه الإنساني. إلاّ أنّ الحكمة البالغة كما سردها القرآن الكريم تتمثّل في إعادة البناء الرّوحي وربط الأرض بالسّماء وتجديد البناء ورفع القواعد من البيت، وبعث أمّة التّوحيد من جديد.

أمّا الحدث التّاريخي الثّاني فهو هجرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة وهو مثال للهجرة الواعية؛ صاحبة مشروع ورسالة، لا هروبا من التحدّيات واختباء من إكراهات الواقع ومعاناة المبتلين في دينهم، إنّها تحوّل مكاني من أجل تنظيم الأفكار وبناء المشاريع الحضارية الجديدة والتحرّك في فضاء ممكن؛ خِصب ومتنوّع وثري ومنتج. ولذلك أرسل النبي محمّد صلى الله عليه وسلّم أصحابه في

الهجرة الأولى إلى الحبشة حيث يوجد ملك لا يُظلم عنده أحد. فهي بِعثة القصد منها الحفاظ على الرّصيد البشري والفكري لأصحابه، واختبار تلك الأرض الجديدة، وبدأ فعل الإنتاج وامتلاك وسائله وربط العلاقات الاجتماعية، والأهم من ذلك أن يعيشوا بحرية وأمان في عالم الأفكار.

كانت الهجرة الأولى تهيئة للمكان برفع بنائه وتطهيره ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [23]، والاستعداد لولادة النّور، وهو التّوقيت الزماني، ذلك أنّ الاستعداد لدورة حياة جديدة يحتاج فترة من الإعداد والتهيئة النّفسية والمادية والميدانية والبشرية، ومعرفة الواقع وطبيعته ومكوّناته. أمّا الهجرة الثّانية فهي إيذان بتمام الاستعداد الإنساني ونضج العقل المتقبّل للرّسالة الخاتمة والبدء في بناء الإنسان الرّسالي الخليفة.

8.3. التجربة الذاتية من المنظورين؛ الديني والأنثروبولوجي

تحت عنوان "المنْفَذ والصوت والولاء؛ سيرة ذاتية مختصرة"، من كتابه: أنثروبولوجيا المجتمعات الإسلامية، كتب ديل أيكلمان Dale Eickelman: "إنّ الحياة الجديرة بالعيش تنطوي دائما على دراما؛ أي: متى تعبِّر عن رأيك أو عن ولائك أو عن انسحابك؟... لم يأخذني عملي كأنثروبولوجي إلى شمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية فحسب، بل إلى الاتحاد السوفييتي وعدّة أماكن أخرى..." [24، ص401]. ويواصل: "في أواخر ستّينيات القرن الماضي؛ تعرّفت بالمغرب على قاض (شرعيٍّ) يكبرني بثلاثين سنة، وكان لا يتقن إلى اللّغة العربية واللّهجة الأمازيغية، وهي لغته الأم، لكنّ الأيّام التي قضيناها معا؛ علّمتني أنا شخصيا، وربّما حتى هو كذلك، أمرا مهمّا، مفاده أنّ تبادل المعرفة والقِيم يتجاوز بشكل غير متوقّع حدود الجيل والزّمان والمكان... لقد تغيّرت مواقفي على نحوٍ دقيق وحسّاس تجاه الزّمان والمكان" [24، ص402].

كما يقرّر ديل أيكلمان حقيقة الاختلاط والاتصال المباشر بين البشر مختلفي الانتماء والمشارب، فإنّه يقرّر كذلك مزايا وثمار الهجرة والانتقال من التأثير والتأثّر والتفاعل، إذ "يتضمّن الاتّصال الحضاري احتكاك ما لا يقل عن جماعتين حضاريتين تختلف أعرافها الاجتماعية احتكاكا مباشرا عن طريق التفاعل الاجتماعي لسكانهما ولفترة طويلة نسبيا، والتأثيرات المادية والمعنوية الناتجة عن هذا الاحتكاك في سلوك إحدى الجماعتين أو كليهما" [25].

8.4. ما الذي دفعني إلى الهجرة؟

تأزّم الوضع السياسي بتونس خلال فترة تسعينيّات القرن العشرين، وكان الشّباب أكثر اندفاعا واستجابة للحركة الاحتجاجية السياسية في غلافها الاجتماعي المطلبي. اضطرّ العديد من طلاّب الجامعات وتلامذة الثانويّة وكذلك طبقات الموظّفين والعمّال... إلى مغادرة تونس من كلّ منافذها، حتى لكأنّها قِربة ماء انهمرت

واستحالت عن الرّتق. غادر أكثر من خمسة آلاف تونسي وطنّهم عبر ليبيا، قرابة ألف وخمسمائة اجتازوا الحدود اللّيبية نحو السّودان، أمّا البقية فاتّخذوا سبيلهم في البحر سربا، عبر المتوسّط قاصدين أوروبا عموما، في دورة جديدة للهجرة نحو الشّمال. باحثين عن أمل جديد في الحياة.

كنت أحد هؤلاء "المنسحبين" أو "الفارين" أو في أحسن الحالات "المهاجرين"، ولست أحسن حال منهم، غير أنّ الحظّ جعلني من الجنوب التونسي فكنت أعرف ليبيا أفضل منهم. صحيح أنّني في مرحلة أولى كنت أطلب النجاة من أن تطالني يد المطاردة والمنع من السفر، لذلك ما أن استقرّ بي المقام في مدينة جنزور غرب العاصمة طرابلس حتى بدأ أضع السياسيات المستقبلية لهذه الهجرة القسرية لكنّها واعية. فرسمت مخطّطا أوّليا مرحليّا وآخر "استراتجيا" مستقبليا.

كان ذلك في 24 أكتوبر 1991م، حين وطئت قَدَمِي دولة ليبيا وأنا أتأمّل الخلائق والعالم من حولي، غير أنّني لم أشعر بتاتا بالغربة فيها، وكنت أشعر أنّني أحد هؤلاء، رغم عدم معرفتي بهم من قبل.

كان الهدف الأساس الاستقرار في بلد ما حتى حين، المهمّ أن يستجيب لوضعي القانوني ويسمح بإتمام دراستي الجامعية بجميع مراحلها. وقد حدّدت لذلك مراحل معيّنة: (اختيار السّودان وجهة متأكّدة للاستقرار؛ لأسباب وجدانية وفكرية واجتماعية، توفير المتطلّبات المادية الضرورية؛ المال واللباس والغذاء والمسكن، توفير المتطلّبات الدراسية؛ الرّسوم الدراسية والأدوات، تحديد وجهة التخصّص العلمي على المدى البعيد، البحث عن الترسيم في جامعة عريقة في المجال المطلوب، إقامة نسيج علاقات اجتماعية يستفاد منها في أرض المقصد) [26].

8.5. ميزات بداية الهجرة في ليبيا

كانت تونس في تلك الفترة، وخاصّة الجنوب منها، لا يعرف أصلا الهجرات الإفريقية أو عبور الحدود والتسلّل داخل البلاد من طرفهم، ولربّما لم تكن وجهة مطروحة أصلا بالنسبة لهم، ما عدا نُخَب علمية قليلة جدا من البعثات الطلاّبية أو المنظّمات الدولية... فكانت ليبيا فرصة للتعرّف عن السودانيين من مختلف أقاليم بلادهم، ثم بقية الأفارقة جنوب الصحراء، وهي فرصة لمعرفة لغاتهم وأديانهم وأعراقهم... فسمحت لي مخالطتهم بالتعرّف إليهم ومعرفة بعض خصائصهم، فكان له الأثر الطيّب عند رحيلي إلى السّودان. لذلك كانت ليبيا فرصة ثمينة أسهمت في تنضيج مشروع رحلتي على المستويين العلمي؛ بمعرفة الأعراق واللّغات والأديان والتاريخ والجغرافيا، ثم الاجتماعي. وبذلك رسمت خريطة ذهنية جديدة عن إفريقيا تساعدني لاحقا.

هذّبت إقامتي المحدودة بليبيا اختياراتي المصيرية، ووجّهت اهتماماتي العلمية إلى حدّ كبير، لذلك لم أجد أيّ صعوبة في تحديد وجهتي الدراسية الجامعية وقد بدأت مسيرتي العلمية في جامعة الزيتونة بتونس

تخصّص حضارة إسلامية، ففتح كلّ ذلك أمامي بوّابة شاسعة نحو الأديان والحضارات، ولجتها بشكل رسمي بعد تخرّجي من جامعة أمدرمان الإسلامية وولوج مرحلة الماجستير، التي سمحت لي بزيارة جميع أطراف السودان تقريبا، ودخول أهمّ كنائسها ومساجدها، وقد عُرِفت ببحوثي الميدانية، التي قادتني من حيث لا أدري إلى دول الجوار السوداني، باحثا عن تاريخ المسلمين ومعاناتهم، خاصّة ما تعرّضوا له من مظلمة تاريخية من خلال التجارة المثلّثة أو تجارة الرّقيق، كما مارستها فرنسا والبرتغال وإسبانيا وبريطانيا...

وبعد عقد من الزّمن تقريبا، وقد غادرت أفريقيا نحو الغرب، فكبر الطموح وتجدّدت الآمال، وارتفع سقف الأحلام، ووصلت في بحوثي بين أفريقيا وأمريكا اللاّتينية، ومن خلال الدراسات المقارنة في مجال التاريخ والهجرات والأعراق والأديان، دخلت عالم الدراسات الأنثروبولوجية وخاصّة الدراسات النقدية المقارنة.

أسهمت رحلتي إلى مدغشقر وجنوب شرق آسيا والعديد من دولها الأخرى، في قراءة العديد من المصادر والمراجع بلغات شتّى، كانت سببا في توقفي عند الإخلالات المنهجية والمعرفية وحقائق الواقع، إن لم نقل الأخطاء الفادحة، فأعملت فيها النّقد والمراجعة تأليفا أو محاورة، ولعلّ أهمّها جلسة مع السيّد كلود لفي ستروس Claude Lévi-Strauss (1908 – 2009م) سنة 2006م، فراجعته حول بعض المسائل المتعلّقة بالعديد من المصطلحات وأصول الكلمات في اللّغة الأم، حيث يعزوها إلى لغات غربية بينما هي من أصول عربية، ذلك أنّ الغرب لم ينفتح على العالم الجديد جنوب الصحراء وما وراء المحيط الهندي إلاّ بداية القرن الخامس عشر للميلاد، بينما كانت صلة المسلمين بتلك العوالم سبّاقة ممّا يُثبت تأثيرهم لغة ودينا في شعوب تلك المناطق.

فكان كتاب الأنثروبولوجيا سؤال الدّين والفلسفة خلاصة تلك التجربة العريضة، وبداياتها الشّاقة المؤلمة، المليئة بالمخاطر والمجازفة وركوب المجهول والأكل من القمامة وفضلات الأسواق في العديد من بلدان إفريقيا، في سبيل خدمة العلم والوصول إلى الهدف المنشود [27].

9. خاتمة:

يجب أن توضع الهجرة في إطارها الإنساني والمعرفي وتُفهم في سياقها الحضاري. إذ لا توجد هجرة بلا دافع ومن دون سبب وجيه. فالحروب والمجاعة والدكتاتوريات المتعجرفة والتطلّع نحو الأفضل العلمي والمالي والبحث عن الرفاه، كلّها أسباب وجيهة تدفع الشباب خاصّة للفرار من جحيم الفقر والحاجة. بلدان إفريقية تسبح فوق بِرك من النّفط والغاز وجميع خيرات الأرض الكامنة، تنفق في أحسن الحالات على ثلاثة بالمائة من عموم الشّعب؛ على العائلات الحاكمة وحاشيتها المتواطئة، وبقية الشعب يسحقون ويغيّبون في

السّجون، والثروات بالمحصّل تنهب وترحّل خارج البلاد لصالح الشركات الاستعمارية الأجنبية. وما التحرّكات الاحتجاجية وطرد الفرنسيين... إلاّ ثمرة وعي الجماهير المتعطّشة للتغيير ومواكبة نداء العصر.

وبناء عليه؛ يجب التعامل مع الهجرة من زاوية الوعي بأهميتها وحسن توظيفها، وعدم المبالغة في التخوّف من مآلاتها، ذلك أنّ دول العبور أو المقصد بإمكانها التشديد في التسلّل إلى أراضيها من خلال محاربة الفساد الإداري والمالي الذي ينخرها، ومحاصرة تجّار البشر وكلّ المستفيدين من موجات الهجرة وتهريب الأفارقة، المتنفذين في مؤسّسات الدّولة. ومن المفترض في بلاد الغرب الإسلامي أن تجعل الهجرة مدخلا للتعارف واحتضان الأفارقة جنوب الصحراء، ولا يتركون لقمة سائغة للمنظّمات المشبوهة، يستغلونهم في ما يهدّد هذه الأوطان. ف تخصّص وزارات الأوقاف والشؤون الدينية في بلدان المغرب العربي مكاتب خاصّة بالأفارقة الفارين وتدمج أبناءهم في المدارس الوطنية، ولا تعتبرهم خطرا يهدّد الأمن القومي [28].

10. النتائج:

من خلال مقاربة أنثروبولوجية محايدة وُظِّفت فيها العديد من مناهج البحث العلمي، توصلنا إلى:

- الهجرة حركة إنسانية طبيعية، تطرح في الحالة الإفريقية عديد التخوّفات في ظروف الحروب الأهلية ومشاريع الاستبدال والتهجير، مثل الحالة السودانية.
- تساعد التجربة الذّاتية والبحوث الميدانية في تطوير الذّات العالِمة وفهم طبائع البشر وتطلّعاتهم المشروعة.

11. التوصيات:

يوصي البحث بالتالي:

- توطين الدراسات الأنثروبولوجية المتعلّقة بالهجرة خاصّة جنوب الصحراء وإعادة بناء مقاربات موضوعية.
- بناء شراكة علمية شفّافة وذات مصداقية مع المؤسّسات الجامعية الإفريقية لدراسة تلك المجتمعات وفهم مشاغلها والبحث المشترك عن حلول تتفق وتنسجم مع الجميع.

المراجع:

[1] Raulin, A.; Cuche, D.; Kuczynski, L. *Anthropologie et migrations, parcours et Recherches. Revue européenne des migrations Internationales*, 2009; 25, 3, p. 147-152.

[2] Sirna, F. Brettell C., Gender and Migration. Polity Press: Cambridge, UK, 2016, viii + 219 pp. *Clio. Femmes, Genre, Histoire*. 2020; (51), pp. 333–336. http://dx.doi.org/10.4000/clio.17934

[3] Castles, S.; de Haas, H.; Miller, M. *Theories of Migration. In: The Age of Migration*, 5th ed; The Guilford Press: New York, US, 2014; pp. 42-71
[4] Brettell, C.; Hollifield, J. *Migration theory: Talking across disciplines*, 4th ed.; Routledge: London, England, 2022.
[5] Kearney, M. From the Invisible Hand to Visible Feet: Anthropological Studies of Migration and Development. *Annual Review of Anthropology*, 1986, *15*, 331–361.
[6] Reed-Danahay, D.; Brettell, C. B. *Citizenship, political engagement, and belonging: Immigrants in Europe and the United States.* Rutgers University Press: New Brunswick, NJ, US, 2008.
[7] White, J. Turks in Germany; Overview of the literature. *Middle East Studies Association Bulletin*, 1995, Vol. 29, No. 1, pp. 12-15.
[8] Foner, N. American arrivals: Anthropology engages the new immigration. SAR Press: Santa Fe, NM, US, 2003.
[9] Rosenblum, M.; Tichenor, D. Migration and Culture. In: *The Oxford Handbook of the Politics of International Migration*. Oxford University Press: New York, NY, US, 2012; pp. 215–243. https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780195337228.001.0001
[10] Neubauer, A. Regard anthropologique sur la problématique des migrations. In: *Femmes en mouvement.* Graduate Institute Publications: Genève, Switzerland, 2016; pp. 54. (Accessed on 25/07/2025). https://doi.org/10.4000/books.iheid.6237
[11] Aterianus-Owanga, A.; Musso, S. Les Méthodes des Anthropologues pour Étudier les Migrations. Available online: https://www.alterites.ca/les-methodes-des-anthropologues-pour-etudier-les-migrations/ (Accessed on 20/08/2025)
[12] Montassir, S. Ce que l'immigration fait aux immigrés. Pour une anthropologie des primo-arrivants. *IBLA*, 2023, 2(232) , 153-170.
[13] Brachet, J.; Choplin, A.; Pliez, O. Le Sahara entre espace de circulation et frontière migratoire de l'Europe. Available online: https://www.migrationinstitute.org/publications/le-sahara-entre-espace-de-circulation-et-frontiere-migratoire-de-leurope (Accessed on 07/09/2025)
[14] Wenden, C. Dynamiques migratoires sub-sahariennes vers l'Afrique du Nord. *Confluences Méditerranée*. 2010; 74, pp. 133-142. https://doi:10.3917/come.074.0133.
[15] Thiollet, H. *Migrations et intégration dans le sud de la mer Rouge : migrants et réfugiés érythréens au Yémen, au Soudan et en Arabie Saoudite 1991-2007*. Ph.D. dissertation, Political science, Institut d'études politiques, Paris, 2007
[16] Observatoire National de la Migration. Recueil statistique sur les migrations de et vers la Tunisie. Tunis: Observatoire National de la Migration; 2025. Available online : http://www.migration.nat.tn/images/pdf/2025/receuil-statistique-version-10.07.pdf (Accessed on 01/09/2025).
[17] De Wenden, C. *Atlas des migrations: un équilibre mondial à inventer*. Autrement: Paris, France, 2012, pp.96.
[18] Dia, H. *Espaces Domestiques, Espaces Villageois, Espaces Urbains Multi-Situés: Cinquante Ans de Migrations à Partir de La Moyenne Vallée Du Fleuve Sénégal (1960-2010)*. Ph.D. dissertation in sociology, University of Paris Descartes, Paris France, 2009.
[19] De Wenden, C. *La globalisation humaine*; Presses Universitaires de France: Paris, France, 2009. https://doi.org/10.3917/puf.wihto.2009.01.
[20] Protohristova K. De l'ethnonyme « tzigane » et des pièges du politiquement correct. *ReCHERches*, 2011;(7), pp. 51–8. Available from: http://dx.doi.org/10.4000/cher.12545
[21] صالح، الطيب. موسم الهجرة إلى الشمال. دار العودة، بيروت، لبنان، 1981.
[22] سعيد، إدوارد. انتقال النظريات. ترجمة أسعد رزوق، مجلة الكرمل، بيروت،1983 ؛ عدد9 12 (2025/09/16). https://archive.alsharekh.org/contents/28/2969

[23] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 125.

[24] ديل أيكلمان. أنثروبولوجيا المجتمعات الإسلامية. ترجمة نخبة من المترجمين. الطبعة 1، مؤمنون بلا حدود: بيروت، لبنان، 2022.

[25] النوري، قيس. طبيعة المجتمع البشري في ضوء الأنثروبولوجيا الاجتماعية. الطبعة 1؛ رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة، مصر، 2019؛ ج2، ص350.

[26] اللافي، محمد. السودان من الحوار إلى الأزمة المفتوحة. الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر والتوزيع: القاهرة، مصر، 2007، ص14.

[27] اللافي، محمد. الأنثروبولوجيا سؤال الدين والفلسفة. الطبعة الأولى، دار التنوير: باريس، فرنسا، 2022، ص341.

[28] الهاشمي، حميد. الهجرة ودورها في توطين الإسلام في أوروبا: تحديات التعايش والاندماج، بريطانيا نموذجًا. الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: قطر،2024، ص60.